المبحث الرابع عشر

الأحســـاس

«الأحساس وظيفة احتجنا لمعرفة كيفية حدوثها لعشرات السنين، وأشار إليها القرآن الكريم فى جملة واحدة».

د: شارلز بالتيمور

أستاذ المخ والأعصاب

جامعة كورنل، أمريكا

الأحساس من النعم العظيمة التى منحها الله لسائر الكائنات الحية، ويتحكم فى أدائها ذلك الجهاز المعقد التركيب «الجهاز العصبى»، والذى تختلف درجة تعقيده من كائنٍ حى لآخر، ويعتمد ذلك على درجة نشاط الكائن الحى، والوظيفة التى يقوم بها فى الحياة.

يتواجد الجهاز العصبى فى الكائنات غير الراقية فى صورة عقد عصبية بسيطة تتعقد فى الكائنات الارقى لتصل إلى قمة تعقيدها فى الإنسان حيث يوجد جهاز عصبى مركزى له أقسامه ووظائفه، وجهاز عصبى سمبتاوى له أقسامه ووظائفه، ويزداد التعقيد الوظيفى للخلايا العصبية، فلا توجد خلية تقوم وحدها بوظائف الحس والتوصيل والاستجابة، بل يوجد تقسيم محدد يهدف إلى توزيع الوظائف والأدوار للوصول إلى أداء مثالى بديع متزن من خلال وجود خلايا عصبية سطحية بالجلد تقوم بنقل المؤثرات الخارجية، ولولا وجودها لانعدم الأحساس بهذه المؤثرات، ورغم استقبالها لهذه المؤثرات إلا أنَّها لا تدرك معانيها، ومن ثمَّ فهى لاتمتلك القدرة على إحداث رد فعل تجاه المؤثر.

لذلك تقوم هذه الخلايا بنقل الرسالة العصبية الخاصة بالمؤثر من خلايا عصبية موصلة يقتصر دورها على النقل فقط إلى الخلايا العصبية المسئولة عن ترجمة هذه الرسائل وتحويلها إلى معانى والتفاعل معها بإصدار تعليمات للأعصاب المحركة بالتعامل مع المؤثر بالاقتراب منه أو البعد عنه.... إلخ.

غياب أحد هذه الخلايا يعنى عدم اتمام عمليات ردود الفعل من الجسم تجاه المؤثرات الخارجية، ولاسيما الخلايا الحية، والتى تعتبر المتعامل مع تلك المؤثرات.

ورغم أنَّ كشف كيفية تحكم السيال العصبى فى الاستجابة للمؤثرات استغرق وقتاً طويلاً، واحتاج إلى تكامل العديد من المراكز البحثية والباحثين، إلاّ أنَّ القرآن الكريم أشار إلى ذلك فى عبارات موجزة فى قول الله تعالى فى الآية (٥٦) من سورة النساء:

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

فالآية الكريمة تتحدث عن كيفية أحساس الكافرين بعذاب النار يوم القيامة، وتذكر صراحة أنَّ ذلك يتم من خلال الجلد، والمقصود الخلايا الحية الموجودة بالجلد، والتى إذا نضجت والمقصود بنضجها فقدانها لوظيفتها، ومن ثم فلمعاودة الأحساس لابد من تجديدها، من خلال تجديد الجلد المحتوى عليها، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة.